الأهرام

٢ / ٨ / ١٩٩٥

أم كلثوم... وروح الشعر..

بقلم :

أ. د. مصطفى ناصف

الأستاذ بآداب عين شمس

عجبت لأم كلثوم لاتشبه مغنية اخرى. تفردت ام كلثوم بين جميع المغنين والمغنيات، واسترعت نظر العقاد العظيم، فكتب عنها مقالا انكر منه الآن شيئا محددا. لكنى حريص على بعض الكلمات . لست من اهل اللحن ولا اهل الغناء، ولكننى مستمع قديم لأم كلثوم.

صوت ام كلثوم له ظاهر وباطن، والصوت الباطنى لأم كلثوم يجتمع له من الايحاءات شئ كثير . بالأمس كنت استمع اليها من ميدان التحرير الى مصر الجديدة. فاعجب لما اسميه صوت الزعيم. ام كلثوم تذكرنا بالزعامة. تدرك ويدرك لها الملحنون الكبار مالا يخطر بأذهاننا الآن.

اذا استمعت الى أم كلثوم وجدتها تشق الجو، وتعلو بصوتها الكبير، كما يعلو صوت الزعيم. صوت أم كلثوم ليس لاهيا ولا مسليا. أم كلثوم قائدة تدعو المجتمع بصوتها وتوقظه وتنمى ملكاته. أم كلثوم تمثل بصوتها الصحوة والميلاد.

لا اظن ام كلثوم إلا زعيمة بين الزعماء . الزعامة غير مقصورة على السياسيين والمحاربين والكتاب. تتمثل ام كلثوم الزعامة على نحو ما تمثلها اقطاب مصر فى عهد مضى.

أم كلثوم شريكة لفظة حسنين والعقاد ومحمد عبدالوهاب ويوسف وهبى ونجيب الريحانى. هؤلاء يختلف بعضهم عن بعض، ولكنهم يتفقون من قريب على استجلاء الزعامة او حب هذا الوطن حب تكريم وإعلاء.

الكتاب فى عصر أم كلثوم يتفننون فى بناء عبارة اخص ما تمتاز به روح الزعامة أو القوة والطاقة. اللغة لاتكبر إلا فى أيدى الزعيم. كان يوسف وهبى ينطق العبارة بطريقة فريدة تعز على عشرات الممثلين. كذلك كان طه حسين والعقاد. هؤلاء جميعا يقومون بوظائف تتلاقى.

ادركت ام كلثوم روح البحث عن الزعامة والتفوق ونداء المجتمع، وتلاقى افراده على اعتاب روح كبير. الغناء بمعناه المألوف تجربة يخرج بها المغنى من مطالب الجماعة الى مطالب الشوق الفردى. لكن ام كلثوم تمزج بين الحساسية الشخصية وقلب الجماعة. هم أم كلثوم فردى اجتماعى.

كذلك كانت أم كلثوم مغنية شعب تنفذ الى اعماقه، وترغبه فى التحرز والعلو. المغنيات والمغنون يبرعون فى خطاب الفرد لكن ام كلثوم جعلت الغناء شعيرة قومية وطربا شخصيا فى آن. ام كلثوم تناديناء تجمعنا، وتخرج من قلوبنا اجمل مافيها. ويشعر المستمعون انهم جسد واحد وعاطفة واحدة. تنزهوا عن التفرق، وارتفعوا الى قمة الوفاق، واجتمعوا اصدق اجتماع بفضل صوت أم كلثوم يلتقى فى غناء ام كلثوم المجد الجماعى والطرب الشخصى المنزه عن الأعراض والعوقات. تلتقى نشوة الجسد ونشوة الروح فى نسيج واحد.

سارت ام كلثوم فى درب الزعماء المشغولين بالوطن فى كل مجال. لاريب ان كانت انوثة صوت أم كلثوم تلتقى فى باطنها بملمح من ملامح الرجولة . تلتقى فى صوت ام كلثوم المرأة والأم والسيدة المتطلعة الى قيادة الرجال، وهى تعرف الدور الذى يقوم به الرجال.

صوت ام كلثوم جميل وجليل. العشق عند ام كلثوم مشغلة جماعة، وعنوان ريادة وبحث عن ثراء عميق يغذو الاصحاء. منذ وقت ليس بالقصير كتب الشاعر احمد حجازى عن رق الحبيب. رقة ام كلثوم لاتشبه الرقة التى تتباهى بحظها من السرية والغفلة والكلال. رقة أم كلثوم عظيمة تتحسس فى رفق ومطاولة، وتنادى فى صبر وعنوبة وتتخذ لها الاهبة والرياضة اللازمة لملاقاة روح عظيمة.

ولم تكن ام كلثوم مغنية جماعة من السكارى والهازلين والمترفين. ومن لاحظ لهم من العمق والهموم.

خدمت ام كلثوم الوجدان المصرى خدمة جليلة، كما صنع العقاد وطه وشوقى وكل شاعر عظيم. لا تستطيع هنا أن تغفل دور أم كلثوم فيما يسمونه إحياء الشعر. كل بيان لصوت أم كلثوم فى إطار العلم الموسيقى البحت لايكشف كل جوانبها الخليقة بالاشادة والتوضيح.

كان الشعر العربى مولعا

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام
٢ / ٨ / ١٩٩٥

بفكرة الزعامة، كان دأبه أن يجعل الزعامة طربا شخصيا. هذا ماصنعه شوقي باقتدار يتجاهله الناس. أم كلثوم أوحت الينا ما أوحاه الشعراء الكبار: التقت الجماعية والفردية الحميمة، أوحت الينا - ويالعجب أن الشجاعة والكرم اللذين شغلا الشعر العربي دهرا بعد دهر يمكن احياؤهما في الغناء، واعتبارهما معا مظهر الخلق الرفيع، ألم تجعل أم كلثوم الحب شجاعة وكرما، أو بطولة انسانية تبزغ في قلب الفرد، وينصت اليها المجتمع.

ما أكبر الدين الذي نحمله في أعناقنا لأم كلثوم! وجدان الفرد العادي في صوت أم كلثوم خليق بالرفعة مهما يضعف من خلال غناء الحب قالت لنا أم كلثوم. تقدم اعل على نفسك لاتقبع في غرفة ضيقة، افسح لنفسك السبيل ، استوضح النور والأمل. لا تهمس الا حين يكون الهمس عونا على النداء القدسي، لاتكتف بالطلاء والدعابة الهشة.

أحالت أم كلثوم في صوتها القادر على فكرة النداء . لم يكن المصري في غنائها عاكفا على شخصه. كانت تسر في أذنه وتستوقفه ليعمل أو يقول كلمة رزانة أو يكبر على المداهنة والريا.

أم كلثوم صوت شامخ. الشموخ عمق كل عاطفة تعبر عن الرقة والتواضع والابتهال والمعاناة. لذلك كان الحب أريحية شخصية جماعية. هذه روح الشعر العربي في أروع صوره .

مامن فنان دافع عن الشعر باكثر مما فعلت أم كلثوم، ولكن الناس يتعجلون السمع كما يتعجلون القراءة، أم كلثوم «تقرأ» البيت بوجوه مختلفة . علمتنا أكثر مما علمنا ناقد حصيف أن الايقاع يخلقه المستمع المؤدى «خلقا» تصل أم كلثوم الكلمات وتفصلها، تأخذها مأخذ البطء وماخذ السرعة، ترقق الكلمات وتجلها، وتخرج بها من الحماسة الى الدعاء والتبتل. كان نطق أم كلثوم للعربيه بهجة وشموخا.

ملامح الغناء عند أم كلثوم هي ملامح عصر البطولة والبحث الجليل عن التواصل والاندماج، والالتفاف حول ملهم أو ملهمة تعرف حقوق الوجدان وواجباته. لكن الذي أصاب الغناء يشبه ما أصاب الشعر والكتاب والتمثيل، براعة أخرى لاشك في ذلك . لكنها براعة لاتخاطب الروح العظيم ولاتحفل به.. ألم يكن نجيب الريحاني فذا في تصوير الضعف الكبير الذي تلقاه في احترام.. ضاع مطلب الاحترام.. لكننا نعيش في عصر الثقافة الهشة، والضياع المبين.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية